القول الجلـــــي فـــي تحقيق الإخفاء الشفوي

د. صلاح امحمد عمر الغريب ـ كلية التربية الزاوية ـ جامعة الزاوية

الملخّـــص:

يتناول هـــذا البحث مناقشة مسألة من مسائل التجويد طالما اختلف فيها القرّاء حديثاً فأصبحت مثار جدل بينهم وتخطئة كلِ منهما الآخر. ألا وهي طريقة الإخفاء الشفوي، هل هو بإطباق الشفتين أو بانفراج الشفتين، مع إبراز أدلة كلٍ منهما مع الترجيح وفق القواعد التجويدية والصوتية.

الكلمات المفتاحية:

التجويد : النون الساكنة والتنوين- الإقلاب والإخفاء الشفوي، المخارج.

Summar:

This research deals with discussing an issue of Tajweed that has long been disputed by readers recently, and has become a subject of controversy among them and mistakes made by each other.

That is, the method of oral concealment. Is it by closing the lips or by parting the lips, with the evidence for each of them given, with recitation according to the intonation and phonetic rules?

key words: Tajweed Noon Sakinah and Tanween The coup Oral concealment Exitskey words; Tajweed Noon Sakinah and Tanween The coup Oral concealment Exits

المقدمـــــــــة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، فاصطفى حملة كتابه من عباده الأتقياء، وجعلهم أهله وخاصته ، وجمَّلهم بمحاسن تجويده ، وأتحفهم بمعرفة قراءاته ورواياته ، وأكرمهم بتلاوته آناء الليل وأطـــراف النهار حق تلاوته ، فحازوا بذلك من الشرف أعلاه ، ومن الفخر أَعظمه وأَسْنَاه ، والصلاة والسلام على محمد أكرم العرب نسباً وخلقا ، وأَفصح شعابها بياناً ونطقاً القائل : **"خَـــيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّـــمَ الْقُـــرْآنَ وَعَلَّمَه "**[1].

أما بعدُ:

وممّا لا ريب فيه لدى أولى الألباب، أنَّ فن التجويد من أشرف العلوم النافعة للطلاب ؛ إذْ بمعرفة فن التجويد يتلى القرآن كما أُنزل ، وبه يصان كتاب الله من التحريف والتغيير.

وهذا البحث يتناول جزئية من جزئيات أحكام التجويد المختلف فيها بين القراء حيث وصل بهم الأمرُ إلى تخطئة بعضهم بعضاً ، وكل يدّعي أنه على الصواب من أمر هذه القراءة. فأردت أن أبيّن القول الفصل في هـــذه المسألة ، وهـــي إخفاء الميم الساكنة إذا وُليها حرف الباء أو النون عند القلب " هل الإخفاء بانفراج الشفتين أو إطباقهما ؟ وممَّا يجب علينا أن نعْلَمه أن قراءة القــرآن عبادة ، والعبادات الشأن فيها التوقيف ، فصفة العبادات وهيئتها وطـــرق أدائها توقيفي لا تُترك للاجتهاد أبداً ، ومن ذلك قـــراءة القرآن فهي توقيفية تتلقى صفتها وأداؤها عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم- إمَّا عنه مباشرة أو بالواسطة ، أي: بواسطة الرواية ، وأعلى درجات الرواية المشافهة ، وقد سخر الله لكتابه علماء السلف الذين قعَّدوا القواعد وبيّنوا أصول القراءة في مصنفاتهم، وكل خلاف في أحكام التجويد يجب عرضه على كتب الأوائل فما وافق أخذنا به وما خالف رددناهُ بالتي هي أحسن.

منهـــج وخطـــة الدراسة :

فهو استقرائي وصفي ، يتركب بعد هذه المقدمة من ثلاثة مباحث وقائمة الهوامش والمراجع ، المبحث الأول- الإخفاء الشفوي والقلب "تعريفهما، أسبابهما، والمبحث الثاني: اختلاف القراء في الميم الساكنة عند الباء، والمبحث الثالث- الاختلاف في كيفية الإخفاء عند القراء والترجيح في هذه المسألة.

المبحث الأول- الإخفاء الشـــفوي والقلب تعريفهما وأسبابهما:

الإخفاء لغة : جاء في التوقيف على مهمات التعاريف : الإخفاء الستر، ويقابله الإبداء والإعلان، ذكره الراغب[2]، والإخفاء تغييب الشيء، وأن لا يجعل عليه علامة يهتدى إليه من جهتها"[3].

الإخفاء الشفوي اصطلاحاً: هو إخفاء الميم الساكنة عند حرف الباء فقط ، "وهو ذهاب الصوت وبقاءُ الصفة الأنفية دالة عليها"[4]، مثل قوله – تعالى - : **(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ)** . فتخفى الميم عند الباء مع إطباق الشفتين ومع بقاء غنة الإخفاء من الخيوشوم قال ابن الجزري: الْمِيمَ إنْ تَسْكُنْ يُغنَّةٍ لَدى ، باءٍ على المختار من أهـل الأداء[5].

أما القلب لغة: فقد جاء في القاموس المحيط: " قَلَبةُ يَقْلِبهُ : حوَّلهُ عن وَجْهِهِ"[6]، أو هـــو إبدال حرف مكان حرف آخر.

والْقلبُ أفصح من المنتشر بين كثير المعاصرين بتسميته الإقلاب.

واصطلاحاً : هو إبدال النون الساكنة أو التنوين ميماً خالصة عند الباء مع الغنة.

وهو حكم مجمع عليه عند القراء، وعندما تُبْدلُ النُّونُ الساكنة ميماً يتحول الحكم من القلْبِ إلى الإخفاء الشفوي، فعندما نتكلم على الإخفاء الشفوي فالقلْبُ داخل تحته كما قرَّر ذلك الحافظ ابن الجـــزرى في النشر من قوله: "فلا فرق حينئذٍ بين (أنْ بورك) سورة النمل، الآية:8، و(**وَمَنْ يَعتصِمْ بالله**) [سورة آل عمران، الآية :7]"[7]. فإذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين حرف الباء قلبت النون الساكنة أو التنوين ميماً خالصة مُخفاة مع إطباق الشفتين ليتحقّق صوت الميم مصاحباً ذلك غنة الإخفاء من الخيشوم مثل قوله - تعالى - : (**لَيُنْبَذَنَّ**) [سورة الهمزة ، الآية :4] ، (**وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**) [سورة الحديد، الآية:8] فيصير النطق هكذا: (**لَيُمْبَذَنَّ**) و(**عَلِيمُبِذاتِ**) مع مراعاة الغنة.

قال ابن الجزري:

وَالْقلْبُ عِنْدَ البَا بِغُنةٍ كَذَا الإخفاء لدى باقي الحروف أخذا.

السبب الموجب للإخفاء الشـــــفوي : ولمعرفة ذلك لابد من بيان مخـــرج الميم والباء وصفتهما، يقول الإمام ابن الجزري : " المخرج السادس عشر- للواو غير المدية ، والباء، والميم ، مما بين الشفتين ، فينطبقان على الباء والميم وهذه الأحرف يقال لها : الشفهية والشفوية ، نسبة إلى الموقع الذي تخرج منه وهو الشفتان"[8]. وللنطق بهذا الصوت تلتقي الشفتان التقاء تاماً بحيث يمتنع خروج الهواء من الفم وتَتَدَلَّى اللهاة إلى أسفل لتفتح مجرى الهواء الأنفي فيخرج الهواء منه ، ويتذبذب الوتران الصوتيان فهو صوت شفوي أنفي ثنائي"[9]. فنستنتج من ذلك أن صوت الميم يتحقق بمجموع عملين :

الأول : أن تنطبق الشفتان على بعضهما .

الثاني : بسبب هذا الانطباق يغلق المخرج تماماً فيتحول الصوت الخارج من الحنجرة عبر التجويف الأنفي في استمرار لتدفق الصوت من الأنف وهو ما يعرف بالغنة وهي مصاحبة لصوت الميم ، ومن صفاته التي لا تنفك عنه أنه يجمع بين الشدة والرخاوة ، فأمّا الشدة فعندما تنطبق الشفتان ينحبس صوتها ، وأما الرخاوة لجريان الصوت ناحية المجرى الأنفي بسبب حبس هواء الصوت في المخرج.

ولهذا اعتبرها علماء التجويد حرف بين الرّخاوة والشدة ووصف الإمام النويري[10] حرف الميم" بأنه صوت مشوب"[11]، أي : مخلوط من الرَّخاوة والشدة . ومن صفته أنه صوت مستقل لانخفاض مؤخرة اللسان به إلى قاع الفم وصوت جهور، وصوت مرقق ؛ لأنه لا يمتلئ الفم بصداه، وصوت منفتح ؛ لأن اللسان ينفتح ما بينه وبين الحنك الأعلى ليخرج هواء الصوت عند التلفظ به ، وصوت أغنّ[12].

وأما مخرج الباء فهو نفسها مخرج الميم كما يقول ابن الجزري ، ولكن لا يعني هذا أن مخرجهما واحد بالتمام ولو كان كذلك لكان حرف الميم هو عينه حرف الباء. قال الشيخ عبد الفتاح المرصفي[13]، - رحمه الله- في كتابه : هداية القارئ- : "إنّ حصر المخارج إنما هو على وجه التقريب ، وإلا فالتحقيق أن لكل حرف مخرجاً خاصاً به يخالف مخرج الآخر وإلاَّ لكان إياه"

وفي هذا المعنى يقول العلامة ابن عبدالرزاق في تذكرة القـــراء:

والحصر تقريب وبالحقيقه لكلّ حــرف بقعة دقيقه

إذ قال جمهور الــورى ما نصّه لكلّ حرف مخرج يخصّه "[14].

أي : أنَّ مكان المخرج واحد ولكن موضع المخرج مختلف بين الحروف. وصفة هذا الحرف أنّ فيه الجهر – الشدة- الاستفال- الانفتاح- الإذلاق- القلقة.

فحرف الياء يتميز عن حرف الميم بقوة الانطباق، وأنّ الياء تكون مخرجها داخل الشفتين، والميم إلى خارج الشفتين ، وبالقلقة في الياء، والغنة في الميم، واشتركت الياء مع الميم في صفة الجهد والاستقلال والانفتاح والإذلاق.

سبب الإخفاء: من خلال العرض السابق لمخرج الميم والباء وصفتهما يتبين لنا علة الإخفاء وهـــي: "اشتراك الميم والباء في المخرج فهما صوتان شفويان ، وتجانس الميم والباء في صفة الجهر، فهذا الاشتراك بينهما ســوَّغ إخفاء الميم عند الباء"[15].

ولمزيد من الإيضاح أقول: إن طبيعة مخرج الباء لا تســمح بالإظهار؛ لأن الميم والباء يخرجان من نفس المخرج وهو الشفتان، ففيه ثقل عند النطق بالحرفين منفصلين ؛ لأن الفصل من دواعي الإظهار. وكذلك طبيعة مخرج الباء لا تسمح بالإدغام لما فيه من الثقل بسبب التشديد الذي تنتفي معه الغنة فكان الحكم بالإخفاء.

وأما علة قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً قبل الباء أن الميم تشارك النون في الصفة الأنفية (الغنة) فعسر الإدغام بين النون والباء لاختلاف المخرج (فالنون أسنانية لثوية ، والباء شفوية).

ولهذا صار الحكم إلى قلب النون ميماً ثم إخفاء الميم عند الباء ، وبين هذه العلة الإمام عبدالوهاب القرطبي في كتابه : الموضح في التجويد ، فالتشديد (الإدغام) هو إدخال حرف في حرف ، والإظهار هو قطع حرف عن حرف، والإخفاء هو اتصال حرف بحرف، فبالتشديد يدخل الحرف ويغيب ، وبالقطع يظهر ويبين ، وبالاتصال يخفى ويستتر، ولهذه العلة لم يكن الإخفاء إلا في حرفي الغنة (النون والميم)؛ لأنّ الاتصال لا يتأتى إلا فيهما ؛ لأنّ الصوت إذا جرى في الخيشوم أمكن اتصال الحرفين من غير

إظهار ولا تشديد، ولذلك ينبغي أن يكون النطـق بالمخفي بين التخفيف وبين التشديد كما أنه بين الإظهار وبين الإدغام[16].

المبحث الثالث- اختلاف القرّاء في الميم الساكنة عند الباء:

اختلف القراء في حكم الميم الساكنة عند الباء على ثلاثة أقوال بين ذلك المرادي[17] في كتابه توضيح المقاصد فقال : " أجمع القرّاء إلا من شـذَّ على أن الميم الساكنة لا تدغم في الباء ، ثم اختلف هل تظهر أو تخفى على ثلاث أقوال : أحدهما : أنها تظهر ولا تخفى وإليه ذهب كثير من المحققين منهم طاهر بن غلبون[18]، وابن المنادى[19]، والإمام شريح[20]، وبه جزمُ مكى[21].

والثاني : أنها تخفى وإليه ذهب قوم منهم أبو الحسن الأنطاكي[22]، وأبوالفضل الخزاعى[23].

والثالث: التخيير في إظهارها وإخفائها ونسبه بعضهم إلى ابن مجاهد"[24].

القــول الأول ــ إظهار الميم الساكنة عن الياء : يقول مكى بن أبي طالب في كتابه (الرعاية): "وإذا سكنت الميم وَجب أن يُتَحَفَّظَ بإظهارها ساكنة عند لقائها باءٌ، أو فاءٌ، أو واوٌ،؛ نحو: **(وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [سورة البقرة، الآية: 15]** ، ونحو: **(هُــمْ وَأَزْوَاجُهُمْ) [سورة يس، الآية:56]** ، ونحو: **(فَاحْكُمْ بينهم) [سورة المائدة، الآية :42].** لابد من بيان الميم الساكنة في هذا كله ساكنة من غير أنْ يحدُثَ فيها شيءٌ من حركة ، وإنّما ذلك من خوف الإخفاء والإدغام ، لقرب مخرج الميم من مخرجهنَّ ؛ لِأنهنّ كلُّهنَّ يخرجن ممَّا بين الشفتين"[25]. " وهو كذلك اختيار العلامة أحمد بن يعقوب التائب، أبو الطيب الأنطاكي[26] ، وحكى إجماع القرّاء عليه من أهل الأداء بالعراق وسائر البلاد الشرقية.

القــول الثاني ــ الإخفاء : قال ابن الجزري فيه : "الثاني الاخفاء عند الباء على ما اختاره الحافظ أبوعمر الداني وغيره من المحققين، وهذا مذهب أبي بكر بن مجاهد وغيره، وهو الذي عليه أهل الأداء بمصر والشام والأندلس وسائر البلاد الغربية"[27].

ويُسمى الإخفاء الشفوي قديماً، بالإدغام الناقص ، قال الأمام الحافظ أبوشامة في (إبراز المعاني)، على إثر تحريك ، أي : تكون الميم بعد مُحَرك نحو **(عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) سورة العلق، الآية (4)**، و**(حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) سورة غافر، الآية (48)**، والمصنفون في التعبير عن هذا مختلفون فمنهم من يجبر عنه بالإدغام كما يطلق على ما يفعل بالنون الساكنة والتنوين عند الواو والياء أنه إدغام وإن بقى لكل واحد منهم غنة ، كما يبقى الإطباق في الحرف المطبق إذا أدغم ، ومنهم من يعبر عنه بالإخفاء لوجــود الغنة وهي صفة لازمة للميــم قلم يكن إدغاماً محقاً "، فكلام أبى شامة فيه تصريح أن القدمــاء كانوا يسمونه إدغاماً وكان إدغاماً ناقصا لبقاء صوت الحرف الأول وهو الغنة فلو سميته بالإخفاء الشــفوي

فبها ونعمت وإن سميته إدغاما ناقصاً فليس ذلك بدعاً من القول ؛ بل صرح به العلماء المتقدمين ومن ذلك قول الحافظ أبي عمرو الداني في كتابه (الإدغام الكبير) حيث جعل تسميته بالإدغام من باب المجاز : قال أبوعمرو: "والقراء يعبرون عن الميم عند الباء بالإدغام ، وكذلك ترجم له اليزيدي عن أبى عمرو، وليس بإدغام في الحقيقة لامتناع قلب الميم ياءً وإدخالها فيها إدخالاً شديداً في ذلك إذًا هو حقيقة باب الإدغام، وإنما استُشفت الحركة على الميم فأزيدت تخفيفاً فخفيت الميم لذلك ، وهذا قول جميع من يقتدى به من علمائنا، وهو قول التحوير والمجاراة من ذلك بالإدغام ؛ إنما هي مجازو اتساع لما يبتاه.

القول الثالث- التخيير في إظهارها أو إخفائها: ومنهم من ذهب إلى التخيير في إظهارها وإخفائها ونسبه بعضهم إلى ابن مجاهد ، قال ابن مجاهد في إخفائها عند ملاقتها الياء : " والميم لا تدغم في الياء لكنها تخفى ؛ لأن لها صوت من الخياشيم تواخر به النون الخفيفة ، قال : وهو قول سيبويه[28]. وقال الجعبري[29] في (الكنز) عن ابن مجاهد بالتخيير بين الإظهار والإخفاء، "والذي استقر عليه رأي المحققين كابن مجاهد إظهارها عند القاء والواو والتخيير بين إظهارها وإخفائها عند الباء مراعاة للانطباق والاختصاص"[30]. وصحح الإمام الصفاقســـى في (غيث النفع)، الوجهين لكل القـــراء ولم يرجح أحدهما على الآخر، وصححهما كذلك شارحو الجزية وغيرهم، وعليه فلا وجه لمن منع وجه الإظهار من غير غنة أو خطأ من يقول به حيث إن صحيح وثابت لكل القراء وهذا المعنى قول: "ابن الجزري في المقدمة": وأخفيت الميم إن تسكن بغنة لدى ..... باءٍ على المختار من أهل الأداء[31].

ومن العلماء - أيضاً - الذين قالو بجواز الوجهين: ما نقل عن الشيخ طاش كبرى زادة (ت:901هـ)[32] في شرح المقدمة الجزري "جواز الأمرين مؤيداً بذلك كلام ابن الجزري في النشر"[33].

وخلاصة القول أن إخفاء الميم الساكنة عند الياء مع الغنة هو الأشهر وعليه العمل عند علماء التجويد، والإظهار إبقاء وجه صحيح، وبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب. وسبب تسميته شفوياً لخروج الميم والياء من الشفتين مع بعض الخلاف اليسير في موضع المخرج ، ووجهه التجانس في المخرج وفي أكثر الصفات.

المبحث الثالث ـ الاختلاف في كيفية الإخفاء عند القراء:

اختلف القراء في عصرنا هذا في كيفية تحقيق الإخفاء الشفوي ، فبعضهم يرى إبقاء فرجة صغرى بين الشفتين ، وهذا الخلاف أشغل الكثير من طلبة العلم حتى أصبح بعضهم ينكر قراءة البعض المخالف.

والكيفية الصحيحة في ذلك لا بد من بيان أدلة القائلين بترك فرجة صغيرة عند الإخفاء الشفوي والردُّ على شبهتهم.

أولاً- أدلة الذين قالوا بإبقاء فرجة بين الشفتين عند الإخفاء:

1- إن وجـود الإخفاء يستلزم عدم إطباق الشفتين في الإقلاب ؛ لأنه انقلب إلى إخفاء شفوي، والإطباق فيه إظهار لميم ولا يسمّى هـذا إخفاء.

2- قياس الميم المخفاة على النــون المخفاة، فَلما أن ذات النون في الإخفاء يزال مخرجها كذلك في الميم، ولا فرق بينهما في زوال ذات الحرف.

3- استدلوا كذلك بقول فضيلة الشيخ عامر الشيد عثمان [34]، وهو أول من قال بهذا الحكم ثم تبعه قراءٌ آخــرون من تلاميذه مثل العلامة المقرئ أحمد الزيات[35] ؛ إذ قال: "الراجح في الإخفاء الشفوي أن تبقى فرجة " ، وكذلك فضيلة الشيخ رزق خليل[36] حيث قال : "الانفراج أولى لأننا لمَّا نطبق الشفتين يصير وكأنه مُظِهرّ، والصواب أن يكون هناك انفراج خفيف بين الشفتين ليس مبالغ فيه حتى لا تضيع صفة الحرف".

4- القائلون بالفرجة فهموهُ من خلال تعريف ابن الجزى بقوله : "هو قلب النون الساكنة ميماً مخفية، والحكم بكونها مخفية يقتضي بقاء فرجة بين الشفتين ؛ لأن إطباقهما يجعل الميم مظهرة لا مخفاة، وبهذا الفهم قال سيد لاشين أبوالفرج في كتابه (دروس مهمة في شرح الدقائق المحكمة" ما نصه : "كيفية الاخفاء أن تترك انفراجا قليلاً بين الشفتين ولا تطبقهما كاملاً حتى يتحقق الإخفاء"[37].

ثانياً- ابردَّ على شبهة القاشلية بترك فرجة عند الإخفاء الشفوي:

أولاً- ينبغي معرفة أن القول بالفرجة مستحدث لم يمض عليه سوى ستين سنة أو أكثر بقليل ، وأول من شهرهُ بين القراء الشيخ المقرئ عامر السيد عثمان – رحمه الله- شيخ عموم المقارئ المصرية ، لشبهة قوية طرأت في عقله كيف يكون الحكم إخفاء مع إطباق الشفتين وتوصّل بعد التفكير إلى ترك فرجة بين الشفتين ليكون مسمّاه إخفاء ، وألزم به القراء الاخرين ، فتبعه من تبعه من القراء الذين وافقوه على هذا الحكم ، وامتنع كثير من القراء على قبول قوله في مختلف البلدان الإسلامية ، فأصبح القراء في العالم الإسلامي فريقين، فريق يقول بالفرجة في الإخفاء ، وفريق يقول بإطباق الشفتين. ومن القراء الذين لم يأخذوا بقوله قراء ليبيا ظلوا على تعليم القرآن بالمشافهة والتلقي بإطباق الشفتين إلا قليلاً منهم .

وللرد على هذه الشبهة نقول:

أولاً- الأصل في الحرف الإظهار، ولا يصار إلى تبديله أو تخفيفه أو إسقاطه أو تسهيله، إلا لطلب الخفة واليسر في النطق وهذا معلوم في اللغة. وقلب النون الساكنة والتنوين

ميماً خالصة من هذا الباب " لأنه لما ثقل إظهار النون هناك لما تقتصيه النون من استحكام انفتاح الشفتين واتصال طرف اللسان بمقدم الفم، وإثبات الغنة، وكل ذلك منافٍ لما تقتضيه الباء من انطباق الشفتين وانفصال طرف اللسان من موضع النون، وإبطال الغنة ، أبدلوا من النون حرفاً متوسطاً بين النون والباء؛ لأنه يشارك النون بالغنة، ويشارك الباء في المخرج وانطباق الشفتين[38].

فهذا نصٌ صريح على وجوب انطباق الشفتين لدى عملية القلب خلافاً لما يضعه بعض القراء اليوم من عدم اطباق الشفتين، وهو ما لا يصح رواية ودراية.

ثانياً- من الشبه التي تمسك بها القائلون بالفرجة بين الشفتين قياس الميم المخفاة بالنون المخفاة في زوال ذاتها:

فأقول : لابد في هذه المسألة أن نتتبع النصوص وأقوال القدامى ، وأن التلقي لابد أن يوافق النصوص وأن مسألة الفرجة ناتجة عن اجتهاد محض يحتمل الخطأ والصواب، وذلك بقياس الميم المخفاة بالنون المخفاة مع اعتبار الفارق. فالقياس مذموم في القراءة كما قال الشاطبي[39].

وما القياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا[40]

فقياس الميم على النون في زوال الذات قياس غير صحيح ، فزوال ذات الحرف في الإخفاء خاص بالنون الساكنة والتنوين ؛ إذ وصفها المتقدمون بأنَّها تزول وجعلوا مخرجها من الخيشوم ومخرج النون الحقيقية أي : المخفاة ، وما أدرجوا معها الميم المخفاة لأَنَّ ذاتها لا تزول ومخرجها من الفم عندهم وعدم زوال الميم عند الإخفاء يستلزم بالضرورة أنها تخرج بانطباق الشفتين ، إذ لو أخفيت بالفرجة (أي : عدم إطباق الشفتين) لصارت مثل : النون ، أي: " من مخرج الخيشوم" وهذا يقودنا إلى هذا التساؤل:

ما الفرق في النطـــق بين (من بعد) بالإخفاء من غير قلب النون ميماً وبين (من بعد) بالقلب مع ترك فرجة بين الشفتين ؟

النتيجة واحدة إذن فما الفائدة من الإقلاب الذي يعقبه زوال ذات الميم بجعل فرجة ليخرج الصوت من الخيشوم كما في النون ؟

وعلى هذا فإن القول بالفرجة خطأً لا أصـــل له في اللغة ، ولا أساس له من الصحة ؛ وإنما هي شبهة ألقيت في عقولهم.

ثالثاً- إن الذين قالوا بالفرجـــة بين الشفتين في الإخفاء الشفوي يقعون في إشكالٍ صوتي ؛ لأن التأثر بين الأصوات المتجاورة يخضع لضوابط محددة ، ونطـــق كلا الصوتين - الميم والباء- يقتضي انطباق الشفتين ، والفرق بينهما أن النفس يجري مع الميم من الأنف ويخرج مع الباء من الشفتين.

أما انفراج الشفتين أو انفتاحهما قليلاً فإنه في هذه الحالة يأتي بعنصر صوتي جديد لا وجـود له في العملية النطقية ، ومن ثمّ يكون خارجاً عن القوانين الصوتية التي تخضـــع لها ظاهــرة التأثر بين الأصوات المتجاورة في صفة الكلام وكذلك يؤدّي إلى زيادة في عمل أعفاء النطـــق ، وهو ما يتنافى مع مقصد التقريب بين الأصوات وطلب السهولة واليسر في النطق.

رابعاً- لم يثبت عن علماء القراءة الأوائل في مصنفاتهم مصطلح فرجة ، أي : ذهاب ذات الميم عند الإقلاب ، وكذلك لم يـروَ عن النحاة واللغويين في نقولاتهم هذا المصطلح فدَّل ذلك على أنه مصطلح محدث والأصل في القراءة هو الأخذ بالمشافهة والنقل عن أَئمة القراءة، وكلهم كانوا يقرؤون بالإطباق.

الترجيـــــــح : من خلال الأدلة التي وردت في البحث للرد على من قالوا بترك فرجة عند الإخفاء الشفوي، يترجـــح قول الذين قالوا بإطباق الشفتين عند الإخفاء الشـــفوي وذلك لقوة أدلتهم في ردَّ الشبه التي استند إليها الفريق الآخـــر ولا يؤخذ القرآن إلا بالتلقي من أفـــواه المشايخ كما قال ابن الجزري –رحمه الله-.

فكن على نهـــج السلف في مُجْمَـــعٍ عليه أو مختلف

وقد صرح الشيخ كريم راجـــــــح [41] - شيخ القراء في بلاد الشام - بمنع تفريج الشفتين لدى النطق بالإخفاء الشـــفوي والإقلاب ، وأنكر كل من يفعل ذلك ؛ بل إنَّ مجلس شيوخ القــراء في دمشق أصدر قراراً بهذا الخصوص ، يجم فيه القراء على وجوب إطباق الشفتين لدى النطق بالإخفاء الشفوي والإقلاب [42].

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يلهمنا التوفيق والسداد آمين.

الهوامـــــــــش:

(1) أخرجه البخاري من حديث عثمان بن عفان- رضي الله عنه- رقم 5027.
(2) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني (الجزء الو – ص203).
(3) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص 42).
(4) انظر: أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث، ص 132.
(5) انظر: الروضة الندية شرح متن الجزرية ص 72.
(6) انظر: القاموس المحيط للفيروزبادي، ص 127.
(7) انظر: النشر في القراءات العشر (الجزء 2، ص 26).
(8) انظر: النشر في القراءات العشر، (الجزء1 ، ص201).
(9) انظر: أحكتم تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث، ص 62- 63.
(10) هو العلامة المقرئ محمد بن محمد بن علي ابن محمد ابن إبراهيم ابن عبدالخالق المحب ابن الفاضل، النويري شهرته العقيلي نسبه المالكي مذهبه أشتهر بكنيته بهو أبوالقاسم النويري، ولد في رجب عام 801 هـ، في قرية الميمون من قرى الضعيد بمصر، صاحب المصنفات والشروح منها: نظم أرجوزة في النحو الصرف، شرح مختصر ابن الحاجب، توفي يوم الثنين عام 857هـ بمكة المكرمة.
انظر: إمتاع الفضلاء بتراجم القراء الجزء الثاني، ص 348.
(11) انظر: شرح طيبة النشر النويري، الجزء الثاني، ص 238.
(12) انظر: دروس مهمة في شرح الدقائق المحكمة، (ص 85) بتصرف.
(13) هو العلامة المحقق الشيخ عبدالفتاح بن عبدالغني بن محمد القاضي عالم مصري مبرز في القرأت وعلومها، وفي العلوم الشرعية والعربية، من أفاضل علماء الأزهر له أدب رفيع وإقتدار على النظم البديع، ولد بمدينة دمنهور 25 – 8 -1320 هـ له كثير من المؤلفات والشروح منها: البدور الزاهرة في القراءات لعشر المتواترة، وغيرها الكثير، توفي – رحمه الله- في يوم الأثنين 1403 هـ انظر: إمتاع الفضلاء في تراجم القراء ، (ج1، ص 194- 201)
(14) انظر: هداية القارئ في تجويد كلام الباري، ص 64.
(15) انظر: أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث، ص 132 – 133.
(16) انظر: الموضح في التجويد ، ص 157 – 158)
(17) هو لحسن بن القاسم بن عبدالله بن علي، أو أبومحمد بدر الدين المعروف بابن أم قاسم المرادي، المصري المولد، الأسفي المغربي الفقيه النحوي، البارع الأوحد في علوم العلم، له من التأليف شرح التسهيل والألفية وشرح الشاطبية، توفي يوم عيد الفطر من سنة 749هـ انظر غاية النهاية في طبقات القراء (ج1، ص207).رقم الترجمة (1038).
(18) هو الطاهر ابن عبد المنعم ابن عبيد الله ابن غلبون ابن المبارك أبو الحسن الحلبي نزيل مصر أستاذ عارف وثقة ضابط وحجة محرر شيخ الداني ومؤلف التذكرة في القراءات الثمان، توفي بمصر سنة 399هـ، انظر: غاية النهاية (ج1، ص307- 308). رقم الترجمة: 1475.
(19) هو أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله أبو الحسين البغدادي، المعروف بابن المنادي المام المشهور حافظ ثقة متقن محقق توفي سنة 336هـ. انظر: غاية النهاية، (ج1، ص45) رقم الترجمة 183.
(20) هو محمد ابن شريح ابن أحمد بن محمد ابن شريح بن يوسف بن عبدالله بن شريح أبوعبدالله الرعيني الأشبيلي الستاذ المحقق، مؤلف الكافي والتذكير، ولد سنة 388هـ ومات في شوال سنة 476هـ، انظر غاية النهاية (ج2، ص136). رقم الترجمة: 362.

(21) هو مكي ابن أبي طالب ابن حيوس ابن محمد ابن مختار ، أبومحمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، أمام محقق أستاذ القراء والمجودين، ولد سنة 355هـ بالقيروان، صاحب كتاب التبصرة في القراءات مات سنة 437 هـ ، انظر: غاية النهاية (ج2،ص 270). رقم الترجمة: 3645.

(22) هو علي ابن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشير أبوالحسن الأنطاكي التميمي نزيل الأندلس وشيخها، أمام حاذق مسند الثقة ضابط ولد بأنطاكية سنة 299هـ، وكان رأس في القراءات مات يوم الجمعة سنة 377هـ، بقرطبة، انظر غاية القراء (ج2، ص499). رقم الترجمة: 2308).

(23) محمد ابن جعفر ابن عبدالكريم بن بديل ركن الإسلام أبوالفضل الخزعي الجرجاني أمام حاذق مشهور مؤلف كتاب الآداء في السبع توفي سنة 408هـ ، اظر: غاية النهاية (ج2، ص98- 99). رقم الترجمة: 2893.

(24) انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (ج1، ص110- 111).

(25) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص 173- 174.

(26) التأب أحمد ابن يعقوب أبوالطيب الأنطاكي مقرؤ حاذق أمام في القراءات ضابط بصير بالعربية، توفي بأنطاكية سنة 340هـ ، انظر: غاية النهاية (ج1، ص137).

(27) انظر: النشر في القراءات العشر لبن الجزري، (ج1، ص222).

(28) انظر: الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش، (ج1، ص64).

(29) هو إبراهيم ابن عمر ابن إبراهيم ابن خليل ابن أبي العباس أبومحمد الجعبري ، نسبة لقلعة جعبر قرب صفين وبها ولد سنة 46هـ قال تاج الدين السبكي : كان الجعبري فقيهاً مقرا متقناً له التصانيف المفيدة في القراءات والمعرفة بالحديث، توفي بالخليل سنة 732هـ ، انظر: معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، (ج2، ص15- 21).

(30) انظر: لمسات المستفيد في بعض المختلف في علم التجويد ، ص 87.

(31) انظر: الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزيرية، ص 143.

(32) هو أحمد بن مصطفى بن خليل، أبوالخير عصام الدين طاش كبرى زادة، ولد في بروسة سنة 901 هـ تنشأ في أنقرة وتألد وتفقه وتنقل في البلاد التركية مدرساً للفقه والحديث وعلوم العربية، وله مصنفات عديدة منها: مفتاحح السعادة ، ونوادر الأخبار في مناقب الأخيار وفير ذلك، توفي في أنقرة سنة 1495هـ انظر: الأعلام (ج1، ص257.

(33) انظر: شرح المقدمة الجزرية، للشيخ طاش كبرى زادة، ص 195.

(34) هو الشيخ عامر ابن السيد ابن عثمان مبرز في علم التجويد والقراءات والرسم والفواصل، ولد في قرية ملامس مركز منيا محافظة الشرقية بمصر، في 16- 5- 1900، انظر: إمتاع الفضلاء بتراجم القراء، (ج1، ص122).

(35) هو الشيخ أحمد عبدالعزيز بن أحمد بن محمد الزيات، علامة كبير وأمام في القراءات بلا نظير أية الدهر ووحيد العصر في العلم والحياة والفضل من أجلة علماء العلوم الشرعية والعربية، ولد بالقاهرة سنة 1907، انظر: إمتاع الفضلاء _ج1، ص35).

(36) هو الشيخ رزق خليل حبة ولد في قرية كفر سليمان البحري، بحافظة الغربية، عام 1918م، عالم بالقراءات عين شيخ للمقارئ المصرية عام 1981م،والمشرق على تصحيح المصاحف، انظر: إمتاع الفضلاء (ج2، ص111).

و الشيخ أحمد عبدالعزيز بن أحمد بن محمد الزيات، علامة كبير وأمام في القراءات بلا نظير أية الدهر ووحيد العصر في العلم والحياة والفضل من أجلة علماء العلوم الشرعية والعربية، ولد بالقاهرة سنة 1907، انظر: إمتاع الفضلاء _ج1، ص35).

(37) انظر: دروس مهمة في شرح الدقائق المحمة، ص 143.

(38) المصدر السابق.

(39) هو الأمام العالم أبومحمد اقاصم ابن فِيْرُّه ابن خلف ابن أحمد الرُّعيني الشاطبي الضرير المقرئ ، ولد بشاطبة بالأندلس سنة 538هـ صاحب حرز الأماني، توفي سنة 590هـ انظر: سير أعلام النبلاء (ج15، ص423-424).

(40) انظر حرز الماني ووجه التهاني البيت رقم (354) من البحر الطويل.

انظر: علم التجويد أحكام النظرية وملاحظات تطبيقية، ص162.

(41) هو محمد كريم ابن سعيد ابن كرين راجح علامة سوري شيخ قراء الشام وفقيه شافعي وأديب لغوي ولد عام 1926م، انظر: مجلة معهد الإمام البيضاوي للعلوم الشرعية.

(42) انظر: علم التجويد أحكام النظرية وملاحظات تطبيقية، ص162.